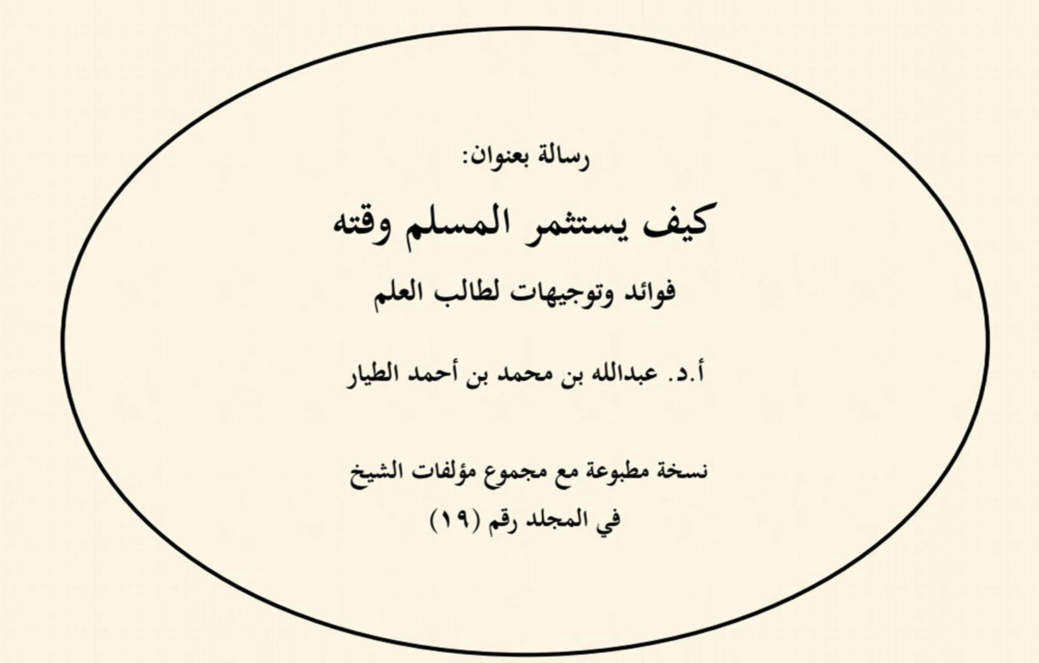

رسالة بعنوان:

كيف يستثمر المسلم وقته

فوائد وتوجيهات لطالب العلم

أ.د. عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار

نسخة مطبوعة مع مجموع مؤلفات الشيخ
في المجلد رقم (١٩)

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العلم والدعوة والوصايا والتوجيهات والفوائد

المجلد التاسع عشر

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطيار ، عبدالله بن محمد
مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث فضيلة الشيخ عبدالله الطيار. / عبدالله بن محمد الطيار .- الرياض ، ١٤٣١هـ

٢٧مج.

ردمك: ١-٦١٧٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٢-٦١٩٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٩)

١- الثقافة الاسلامية ٢- الاسلام - مقالات و محاضرات ٣- الدعوة الاسلامية أ.العنوان

ديوي ٢١٤ ١٤٣١/٨٩٨٥

رقم الإيداع: ١٤٣١/٨٩٨٥
ردمك: ١-٦١٧٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٢-٦١٩٥-٠٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٩)

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

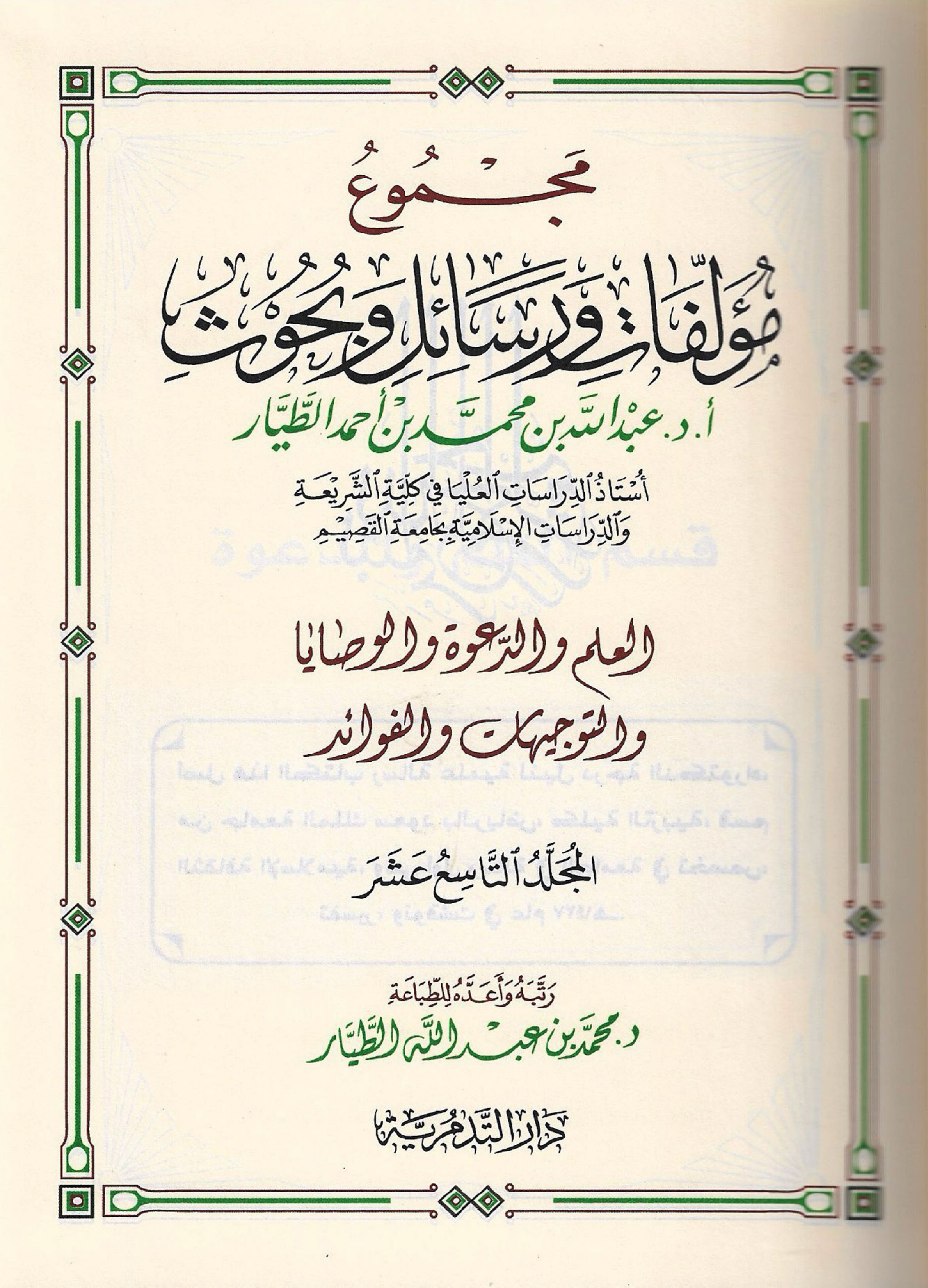
دار التدمرية

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية



مجموع

مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العلم والدعوة والوصايا والتوجيهات والفوائد

المجلد التاسع عشر

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

رسالة بعنوان

كيف يستثمر المسلم وقته

فوائد وتوجيهات لطالب العلم

(تنشر لأول مرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فالزمن هو عمر الحياة وميدان وجود الإنسان وساحة ظله وبقائه ونفعه وانتفاعه، وقد أشار القرآن الكريم إلى عظم هذا الأصل في أصول النِّعم، وألمح إلى علو مقداره على غيره فجاءت آيات كثيرة ترشد إلى قيمة الزمن ورفيع قدره وكبير أثره، فقال تعالى ممتناً على عباده بهذه النعمة العظيمة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾، وقال تعالى ممتناً على عباده في آية أخرى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.

وقد أقسم الله جل وعلا بأجزاء من الوقت في كتابه العزيز فأقسم بالفجر: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾.

وأقسم بالليل والنهار: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾﴾.

وأقسم بالضحى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾.

وأقسم بالعصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾.

وأكّد رسولنا ﷺ على أهمية الوقت في أحاديث كثيرة، أذكر منها على سبيل الاختصار: عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن**

شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه».

وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**».

وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك**».

الغيرة على الوقت:

قال ابن القيم ﵀: «فإن الوقت سريع التقصي أبيُّ الجانب بطيء الرجوع، فالوقت منقض بذاته منصرم بنفسه، فمن غفل عن نفسه تصرَّمت أوقاته وعظم فواته واشتدت حسراته ولا يعود منه إلا أثره وحكمه... ولهذا يقال للسعداء في الجنة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ ويقال للأشقياء المعذبين في النار: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

لقد كان سلف الأمة الصالح ومن سار على نهجهم ممن جاء بعدهم أحرصَ الناس على كسب الوقت وملئه بالخير علماؤهم وصلحاؤهم، لقد كانوا يبادرون الأوقات ويسابقون الساعات حرصاً على الوقت وخوفاً من ضياعه دون فائدة نُقل عن عامر بن عبد قيس ﵀ أحد التابعين أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له عامر: يا هذا أمسك الشمس؛ يعني: أوقف الشمس وأحبسها عن المسير لئلا يحسب عليَّ الوقت حتى أكلمك، فالزمن دائب المسير لا يعود بعد مروره وخسارته أعظم الخسارات ولا يمكن استدراكها بحال لأن لكل وقت ما يملأه من العمل.

نعم أيها الأحباب: إن وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة وهو يمر مرّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره وما عدا ذلك ليس محسوباً من حياته وإن عاش فيه عيش البهائم، وهذا النوع من الناس كما

يقول ابن القيم رحمه الله موته خير من حياته وقد أبدع الحسن البصري رحمه الله في تصوير هذا المعنى فقال: «يا ابن آدم إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك».

إن الزمن يساوي عطاءَ الإنسان، وحصادَه عمرُه يساوي اليدَ التي ستحمل كتابه يمنى تكون أو يسرى. قال الحسن البصري رحمه الله: «أدركت أقواماً كان أحدهم أشحَّ على عمره منه على درهمه».

قال علي البستي:

إذا ما مضى يوم ولم أصطنع يداً ولم أقتبس علماً فما هو من عمري

وقال المناوي رحمه الله في «فيض القدير»: «من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرضٍ أداه، أو مجدٍ أثَّله، أو حمدٍ حصَّله، أو خيرٍ أسَّسه، أو علم اقتبسه، فقد عقَّ يومه وظلم نفسه».

وها هو ابن الجوزي رحمه الله: «يُشبِّه من يضيعون الأوقات بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر». ويقول رحمه الله: «ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود فهم في تعبئة الزاد والتهيؤ للرحيل يبادرون الأوقات وينافسون الزمان...».

وقد أجاد رحمه الله في كلام بديع حول هذا المعنى وما يتصل به من إشغال بعض الناس من اللاهين لبعض الجادين وتكرار زيارتهم وتضييع أوقاتهم، وليراجع كلامه في «صيد الخاطر» ص٤٦ وما بعدها.

خصائص الوقت:

للوقت خصائص يتميز بها لا بد من إدراكها والتعامل معه على ضوئها ومن ذلك:

١ ـ سرعة انقضائه:

فالوقت يمر مر السحاب لكن أيام السرور والفرح تكون أسرعَ، وهذا بالنسبة لشعور صاحب الفرح، وهكذا بالنسبة لأيام الهموم والأحزان فهي تمر ببطء وهذا بالنسبة لمن وقعت له وصدق من قال:

مرت سنينٌ بالوصال وبالهنا ... فكأنها من قصرها أيام
ثم انثنت أيامُ هجرٍ بعدها ... فكأنها من طولها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلُها ... فكأنها وكأنهم أحلام

ومهما طال عمر الإنسان فهو قصير ما دامت نهايته الموت. فعند الموت تتقاصر السنون والأعوام حتى لكأنها لحظات مرت كالبرق الخاطف.

وقد أُثر عن نوح عليه الصلاة والسلام أنه قيل له: يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا وقد عاش ما يزيد على ألف عام، فقال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر، وصدق الله العظيم: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.

٢ ـ أن ما مضى منه لا يعود ولا يعوض:

فكل لحظة تمر، وكل ساعة تنقضي، وكل يوم يمضي لا يمكن أن يستعاد ولا يعوض. وقد عبر التابعي الجليل الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا الأمر بقوله: «ما من يوم ينشق تجده إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة». وقد قيل:

ألا ليت الشباب يعود يوماً ... فأخبره بما فعل المشيب

وقيل:

وما المرء إلا راكب ظهرَ عُمرِه ... على سفر يُغنيه باليوم والشهر
يَبيت ويُضحي كل يوم وليلة ... بعيداً عن الدنيا قريباً من القبر

٣ ـ أن الوقت أنفس ما يملك الإنسان:

فهو لا يعوض وهو الوعاء لكل عمل وكل إنتاج فهو رأس المال الحقيقي للإنسان على مستوى الأفراد والمجتمعات.

فالوقت أغلى من الذهب لأن الذهب يمكن تعويضه والوقت لا يمكن تعويضه.

وسائل معينة لحفظ الوقت وكسبه والانتفاع به:

هناك وسائل كثيرة تعين على حفظ الوقت والانتفاع منه، وشغله فيما يقرب إلى الآخرة والناس يتفاوتون في استغلال هذه الوسائل والاستفادة منها وأذكر بعضها على سبيل التمثيل.

١ ـ الإخلاص:

وهو كمال الدين إذ هو درجة عالية لقبول الأعمال عند الله. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وقال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾.

فإخلاص العمل لله وحده سر قبوله وسبب عظيم للظفر بحب الله ورضوانه.

وأعظم أنواع الإخلاص ما كان العمل فيه مستوراً عن الناس.

وسر السعادة في الإخلاص أن العبد يكون في هذه الحالة مع الله، ومن كان الله معه فقد فاز برضوان الله، ومن فاز برضوان الله فقد فاز بالسعادة الحقيقية في الدارين الأولى والآخرة.

أخلص لربك ذي الجلال عبادةً ... حتى تفوز وتذهب اللأواء

٢ ـ القدوة برسول الله ﷺ:

فهو الحقيقة العملية للإسلام. قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾.

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾.

وصح عنه ﷺ من حديث أبي هريرة أنه قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**».

نِعْمَ الرسولُ محمد لك قدوة ... زالت بفضل قدومه الظلماءُ

٣ ـ العلم:

ذلك أن العلم طريق إلى معرفة الحق. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰٓؤُا﴾.

فالعلم خير من المال لأنه يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يصحبك في دورك الثلاث في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد، والمال إن وجد صحبك صحبة منكِّد.

والعلم نور يُهتدى به في ظلمات الجهل والشكوك والشبهات والشهوات، والعالم ما يزال يَعلم ويُعلِّم ويعمل، فصحيفة حسناته في ازدياد في حال الحياة وبعد الممات، والاشتغال بالعلم من أفضل الطاعات وأجلِّ القربات، فمذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعلُّمه ودراسته والاشتغال به طريق لرضوان الرب جل وعلا.

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه من وصيته الجامعة حول العلم: «تعلّموا العلم فإنه منار سبل أهل الجنة والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواماً... به توصل الأرحام ويعرف الحلال من الحرام هو أمام العمل، والعمل تابعه ويُلهمه السعداء ويُحرمه الأشقياء».

٤ ـ التقوى:

هي وقاية النفس من الشرك وهي خير زاد يقدمه المرء لنفسه. قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

وقال بعضهم يستدل على تقوى العبد بثلاث:

أ ـ التوكل فيما لم ينل.

ب ـ وحسن الرضا بما نال.

ج ـ وحسن الصبر عما فات.

تقوى الإله حماية للمتقى   ووقاية ومهابة وثراء

٥ ـ المبادرة إلى فعل الطاعات:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

الوقت يمضي سريعاً وحال الشباب غير حال المشيب، وحال الصحة غير حال المرض، وملك الموت لا يستشير ولا يمهل، والأجل لا يتأخر ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾. فالعبد الحريص على نجاة نفسه ينبغي له أن يبادر إلى الطاعات ويسابق إلى القربات، وكلما لاح له مجال لعمل الخير يستغله ويودعه في صحيفة حسناته ليجده يوم العرض على الله.

مناسبة العمل للوقت:

ينبغي للمسلم أن يعرف ما يتطلبه الوقت من عمل القلب واللسان والجوارح، ليوافق المقصود وليقع موقعه عند الله جلّ وعلا، وصدق أبو بكر رضي الله عنه حينما أوصى عمر بن الخطاب عند استخلافه: «اعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار». ولذا جاءت أوقات العبادات محددة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾. وفي الصيام: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾. وفي الحج: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾. وفي الزكاة: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾.

قال بعض الصالحين: أوقات العبد أربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية.

فعلى المسلم أن يتحرى الأوقات الفاضلة وأن يجتهد في العمل ولا يضيع الفرصة إذ لاحت له، فرمضان وعشر ذي الحجة وشهر الله المحرم ويوم الجمعة والخميس والاثنين وآخر الليل، كل هذه أوقات فاضلة، فالعمل العمل قبل فوات الأوان.

العمر الحقيقي للإنسان:

سُئل نبينا محمد ﷺ: أي الناس أفضل؟ فقال: **«من طال عمره وحسن عمله»**.

والموت نهاية كل حي، ولذا مهما طال العمر فهو قصير، وكما اخترم الموت شاباً في شبابه وغنياً في عز غناه وحاكماً بين حرّاسه وخدّامه.

حكم المنية في البرية جاري   ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يُرى الإنسان فيها مخبراً   حتى يُرى خبراً من الأخبار

وفي الحديث: «**عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ومسؤول عنه**».

فالعمر الحقيقي للإنسان ليس السنين التي يقضيها من يوم ولادته إلى يوم وفاته إنما العمر الحقيقي هو الرصيد من العمل الصالح الذي سجل له في ديوان حسناته، ولذا نجد شخصاً يعمر مائة سنة أو أكثر ورصيده قليل إن لم يكن مديناً، ويموت شاب لم يكمل العشرين ولكن رصيده حافل بالأعمال الصالحة، فالمسلم يستطيع بمقدار فعله للخيرات وبُعده عن المنكرات رفع رصيده.

الإخلاص في طلب العلم:

إخلاص النية لله تعالى هو المقصود الأول في كل عبادة، وطلب العلم من أشرف العبادات، والعمل به هو ثمرته، فلو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين.

فمن عمّر ظاهره بالسنّة وباطنه بالإخلاص تفجر في صدره ينابيع العلم ولم يكد ينطق إلا بالحكمة، وأما إذا كان عمله بلا إخلاص كان كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه.

وعلى الشاب أن يعالج نيته ويجتهد في ذلك قدر المستطاع. يقول سفيان الثوري رحمه الله: «ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي فمن أخلص في طلب العلم نيته وجدد للصبر عليه عزيمته كان جديراً أن ينال منه بغيته».

قيل للشعبي رحمه الله: من أين لك هذا العلم كلُّه؟ قال: بنفي الاعتماد والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب.

لقد عشق السلف الصبر والمصابرة على طلب العلم، وتحملوا في سبيل

ذلك المشاق حتى نالوا منه ما نالوا، وبمثل هذا الشغف والعشق للعلم ظهر النبوغ والإمامة فيهم. فاحرص يا طالب العلم على التشبُّه بهم والصبر كما صبروا، فإن لم تصبر على تعب التعلم صبرت على شقاء الجهل، ومن عرف العلم وفضله لم يقض نهمته منه ولم يشبع من جمعه طول عمره.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «تأملت عجباً وهو أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله، فإن العلم لما كان أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجراً اللذات والراحة...».

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام جميل: «وأما سعادته فلا يورثك إياها إلا بذلُ الوسع وصدقُ الطلب وصحةُ النية».

لولا المشقة ساد الناس كلُّهم الجود يفقر والإقدام قتَّال

ومن طمحت همته إلى الأمور العالية فواجب عليه أن يشد على محبة الطرق الدينية وهي السعادة وإن كانت في ابتدائه لا تنفك عن ضرب من المشقة والكره والتأذي...

فالمكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يعبر إليها إلّا على جسر المشقة فلا تقطع مسافتُها إلا في سفينة الجد والاجتهاد. ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها لتجالدوا عليها بالسيوف، ولكن حفّت بحجاب من المكاره وحجبوا عنها بحجاب من الجهل ليختص الله لها من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم.

لا تحسب المجد تمراً أنت آكلُه لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ويقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه والصبرُ على كل عارض دون طلبه وإخلاصُ النية لله تعالى في إدراك علمه نصاً واستنباطاً والرغبةُ إلى الله تعالى في العون عليه».

ويقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو».

الجد بالجد والحرمان بالكسل فانصب تصب عن قريب غاية

والعلم يجتمع مع الليالي والأيام إذ لا يمكن تحصيله بوقت يسير، بل لا بد من الصبر والمصابرة والجد والمثابرة وجمع العلم من صدور الرجال وبطون الكتب.

اليوم شيء وغداً مثله   من نُخب العلم التي تلتقط
يُحصِّل المرء بها حكمةً   وإنما السيل اجتماع النقط

حُسن الاقتداء والاتباع:

أعدل الناس من قام بحدود الأخلاق والأعمال المشروعات معرفة وفعلاً، ولا يمكن معرفة ذلك إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنّة الموصلين إلى الله تعالى. فأقرب الوسائل إلى الله ملازمة السنّة والوقوف معها في الظاهر والباطن ودوام الافتقار إلى الله وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال، وما وصل أحد إلى الله إلا من هذه الثلاثة وما انقطع عنه أحد إلّا بانقطاعه عنها أو عن أحدها. فأعلى الهمم في طلب العلم طلب علم الكتاب والسنّة والفهم عن الله ورسوله، وأخس همم طلاب العلم قصر الهمة على تتبُّع شواذ المسائل وما لم ينزل ولا هو واقع أو تتبُّع الخلاف والوقوف على آراء الآخرين للمحاسبة والمتابعة والردود.

يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الأئمة وفقهاء أهل الحديث فإنهم يتبعون الحديث حيث كان».

ويقول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فإنهم كانوا أعلم منكم».

دين النبي محمد أخبار   نِعْمَ المطيَّةُ للفتى الآثار
لا ترغبن عن الحديث وأهلِه   فالرأي ليل والحديث نهار

تقديم الأولى من العلوم:

ينبغي لطالب العلم أن يلتمس من العلوم أنفعها، فإن العلم كالبحر المتعذر كيلُه والعمر قصير لا يستوعب ذلك كله فيشتغل بالمهم منه، فمن شغل نفسه بغير المهم أضر بالمهم.

ما أكثر العلم وما أوسعه   من ذا الذي يقدر أن يجمعه
إن كنت لا بد له طالباً   محاولاً فالتمس أنفعه

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «العلم كثير ولن تعيه قلوبكم ولكن اتبعوا أحسنه، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾».

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه   حمل فأبصر أيُّ شيء تحمل
وإذا علمت بأنه متفاضل   فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

ذو الهمة لا يخفى عليه قصر العمر وكثرة العلم، فيبتدئ بالقرآن وحفظه وينظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفى عليه منه بذلك شيء من معاني الآيات ومدلولاتها وأحكامها قدر الاستطاعة، ويطالع أشياء من النحو وكتب اللغة التي تعينه على توسُّع مداركه والدقة في تحصيله.

وأشياء من الحديث وأصوله من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن، ومن حيث علم الحديث كمعرفة الضعفاء والأسماء والرواة، وليكن النظر في أصول ذلك كله. ولينظر في التواريخ ليعرف ما لا يستغني عنه كنسب الرسول ﷺ وأقاربه وأزواجه وما جرى له.

ثم ليُقبل على الفقه فلينظر في مسائله ومنشأ الخلاف فيها وأدلتها ولو تطلّب ذلك الرجوع إلى مظانها من كتب التفسير والحديث واللغة.

وعليه مع ذلك أن يتشاغل في ما لا بد له منه من أصول الفقه وعلم الفرائض.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: «واعلم أن الفقه عليه مدار العلوم فإن اتسع الزمان للتزيُّد من العلم فليكن من الفقه فإنه الأنفع».

ورحم الله ابن الوردي إذ يقول:

من كل فن خذ ولا تجهل به   فالحر مطلع على الأسرار
وإذا علمت الفقه عشت مصدراً   في العالمين معظم الأقدار
وعليك بالإعراب فافهم سره   فالسر في التقدير والإضمار

جمع الكتب وكثرة القراءة:

من الأسباب المعينة على تحصيل العلم والتقدم فيه جمع الكتب والنظر فيها، فكثرة المطالعة والقراءة تعين وتسدد؛ لأن مطالعة الكتب تشحذ الهمة وتفتق الوعي وترهف الإحساس.

يقول ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أحب أن يستفيد فلينظر في كتبه، فالكتاب حاضر نفعه، مأمون ضرّه، ينشط بنشاطك فينبسط إليك ويمل بملالك فينقبض عنك، إن أدنيته دنا وإن أنأيته نأى، لا يبغيك شراً ولا يفشي لك سراً، ولا ينم عليك ولا يسعى بنميمة إليك.

نِعْمَ المحدث والرفيق كتاب ... تلهو به إن خانك الأصحاب
لا مفشياً للسر إن أودعته ... ويُنال منه حكمةٌ وصواب

فاجعل يا أخي الشاب الكتاب جليسك في الوحدة وأنيسك في الخلوة.

قال ابن الأعرابي رَحِمَهُ اللَّهُ يتحدث عن كتبه التي يطالع فيه:

لنا جلساء ما نمل حديثهم ... أَلِبَّاءُ مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعَقلاً وتأديباً ورأياً مسددا
بلا فتنةٍ تخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا
فإن قلتَ أموات فما أنت كاذباً ... وإن قلت أحياءً فلست مفندا

فسبيل الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب والاستزادة منها، فإنه يرى من علوم القوم وعلوّ هممهم ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمته للجد وما يخلو كتاب من فائدة.

وقد حرص العلماء على جمع الكتب والنظر فيها، ولعلّ معظم البارزين من العلماء الذين نفع الله بعلمهم كانوا ممن يعتني بالكتب وجمعها ومداومة مطالعتها. يقول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمته لابن القيم: «وكان مغرى بجمع الكتب فحصَّل منها ما لا يحصى حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهراً طويلاً سوى ما اصطفوا منها لأنفسهم...».

فاحرص أخي الشاب على اقتناء الكتب ما استطعت إلى ذلك سبيلاً،

وأَكْثِر القراءة فيها فإنه لا يخلو كتاب من فائدة وربما لا تحتاج إلى الكتاب اليوم وتحتاجه غداً فلا تجده، وتشبّه بأولئك العلماء لعلك تظفر ببعض ما ظفروا به، فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبُّه بالكرام فلاح.

أهمية الحفظ:

الحفظ نعمة من الله تعالى أنعم بها على عباده، والناس فيها على مراتب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وبالحفظ يدرك الشخص العالم وينتفع به وطالب العلم من أكثر الناس حاجة للحفظ وكثرة القراءة. فكثرة القراءة تكسبه سعة الاطلاع وبالحفظ يحوز العلم في صدره فلا تكفي القراءة بلا حفظ ولا الحفظ بلا سعة اطلاع.

فالاحتفاظ بما في صدرك أولى من درس في دفترك، وحرف تحفظه بقلبك أنفع لك من ألف حديث في دفترك.

فينبغي لطالب العلم أن يكون جل همته مصروفاً إلى الحفظ والإعادة، ولو أمكن صرف الوقت لذلك كله لكان أولى غير أن البدن مطيَّة وإجهاد السير مظنة الانقطاع.

ومما يعين على الحفظ أن يقصد بالحفظ ابتغاء وجه الله والنصيحة للمسلمين بالتوجيه والبيان، وليجتنب ارتكاب المحرمات والوقوع في المعاصي فإن ذلك يحرمه بركة العلم.

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

ويكرر الشيء الذي يريد حفظه ففي ذلك إعانة له على الحفظ وتثبيت ما حفظ. قال بعض أهل العلم: «كل وعاء أفرغت فيه شيئاً فإنه يضيق إلا القلب فإنه كلما أفرغ فيه اتسع».

فبالمداومة والتكرار يسهل الحفظ على صاحبه. والحفظ لا يكون إلا مع شدة العناية وكثرة الدرس وطول المذاكرة، والمذاكرة حياة العلم وإذا لم يكن درس لم يكن حفظ وإذا لم تكن مذاكرة قلّت منفعة الدرس، ومن عوَّل على

الكتابة وأخلَّ بالدرس والمذاكرة ضاعت ثمرة سعيه واجتهاده في طلب العلم.

الأمانة العلمية:

ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بالأمانة العلمية في الطلب والتحمل والعمل والبلاغ والأداء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن فلاح الأمة في صلاح أعمالها، وصلاح أعمالها في صحة علومها، وصحة علومها في أن يكون رجالها أمناء فيما يروون أو يصغون، فمن تحدث في العلم بغير أمانة فقد مسّ العلم بقرحه ووضع في سبيل فلاح الأمة حجر عثرة.

الصدق:

الصدق خُلُق إسلامي كريم وهو على العلماء، وطُلّاب العلم أوجب من غيرهم؛ لأنهم يبلغون عن الله ويبينون أحكام الشرع المطهر لعباد الله، وصِدق اللهجة عنوان الوقار وشرف النفس ونقاء السريرة ورجحان العقل وعنوان العلاقة الوطيدة بين الناس.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: «تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم». وقال وكيع رَحِمَهُ اللهُ: «هذه الصنعة لا يرتفع فيها إلا صادق».

زكاة العلم:

زكاة العلم بذله وأدائه وتبليغه للناس، والصدع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر العلم بين الناس وحب النفع لهم وبذل الجاه وقضاء حوائجهم والسعي في مصالحهم والشفاعة الحسنة لهم، صح عنه ﷺ قوله: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له»**.

حذار من الثقافة السطحية:

بعض الشباب يبني ثقافته الشرعية من المجلات والأشرطة والصحف،

فيبقى هشاً لا يثبت على شيء صلب سرعان ما تتقاذفه الرياح هنا وهناك، والأَوْلى بالشاب أن يؤسس ثقافته على شيء صلب وقواعد راسخة، فالمطالعة في أمهات الكتب ساعة تعدل ساعات كثيرة تطالع فيها ما جدّ من وسائل العصر، رصيده حافل بالأعمال الصالحة التي بارك الله فيها.

فالمسلم يستطيع أن يطيل عمره بمقدار ما يوفق إليه من عبادة الله والإحسان إلى الخالق وإخلاص العمل وإتقانه.

نسأل الله أن يبارك في أعمارنا على عمل صالح يرضي ربنا.

وصايا غالية:

أ ـ أوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنه الحسن فقال: «... أحيي قلبك بالموعظة، وأَمِتْهُ بالزهادة، وقوِّهِ باليقين، ونوِّره بالحكمة، وذلِّله بذكر الموت، وقرِّره بالفناء، وبصِّر فجائع الدنيا، وحذِّره صولة الدهر وفحش تقلُّب الليالي والأيام، واعرض عليه أخبار الماضين...».

ب ـ وقال أبو حيان:

أما إنه لولا ثلاث أحبها ... تمنيت أني لا أُعدُّ من الأحياء
فمنها رجائي أن أفوز بتوبة ... تكفر لي ذنباً وتُنجح لي سعيا
ومنهن صوني النفس عن كل جاهل ... لئيم فلا أمشي إلى بابه مشيا
ومنهن أخذي بالحديث إذا الورى ... نسوا سنّة المختار واتبعوا الرأيا

ج ـ حفظ اللفظات: قال ابن القيم رحمه الله: «وأما اللفظات فحظها ألّا يخرج لفظةٌ ضائعة بل لا يتكلم إلّا فيما يرجو فيه الربح والزيارة في دينه، فإن أراد أن يتكلم بالكلمة نظر هل فيها ربح وفائدة أم لا، فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها وإن كان فيها ربح نظر هل يفوت عليه شيء أنفع منها، وإذا أردت أن تستدل على القلوب فاستدل عليها بحركة اللسان». قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: «القلوب كالقدور تغلي بما فيها وألسنتها مغارفها».

د ـ في بعض الخطب المرويّة: إن الآمال تطوى والأعمار تفنى،

والأبدان تحت التراب تُبلى، وإن الليل والنهار يتراكضان كتراكض البريد ويقرِّبان كل بعيد ويبليان كل جديد، وفي ذلك ما يلهي عن الشهوات ويسلِّي عن اللذات ويرغب في الباقيات الصالحات.

إن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب الله عليه البقاء ولا بقاء لما كتب الله عليه الفناء، فلا يغرنّك شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقهر طول الأمل بقصر الأجل.

شحذ الهمم:

إن خير وسيلة لإشعال العزائم وإثارة الروح الوثابة وقدح المواهب وإذكاء الهمم وتقويم الأخلاق بصمت وهدوء ودون أمر أو نهي والتسامي إلى معالي الأمور والترفُّع عن سفاسفها والاقتداء بالأسلاف الأجلّاء هو: قراءة سِيَر نبغاء العلماء والصلحات والوقوف على أخبار الرجال العظماء واستملاء سِيَرهم ومعرفة ما عانوه وكابدوه لتحصيل العلوم ومعالي الأمور، فذلك خير معين لشد الهمم والعزائم وإنارة القلوب وإخلاص النيات وتفجير النبوغ وتفتح الطاقات والصبر على اجتياز الصعاب والعقبات واغتنام الباقيات الصالحات واعتلاء قمم المجد وذرى الكرامة.

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر

كيف تتعظ؟

إذا أردت أن يؤثر فيك ذكر الموت فاجعل نفسك كالذي يريد سفراً إلى محل خطر أو إلى مفازة مُخطرة، أو كالذي يريد أن يركب في البحر، أو في أي مركب من المراكب الخطرة فإنه لا يتفكر إلّا فيه.

وأنجح الطرق بإذن الله أن تتذكر أقرانك في السن الذين قصمهم هادم اللذات ومشتت الشمل ومفرّق الجماعات، فتذكّر موتهم وأحوالهم وصورهم وأولادهم ومساكنهم، ثم تفكّر في مآلهم تحت التراب، واعلم بأن هذا مصيرك طال الوقت أو قصر.

وذي حــرصٍ تــراه يُــلــمُّ وَفــراً ... لــوارثــه ويــدفــع عــن حــمــاه
ككلب الصيد يُمسك وهو طاوٍ ... فــريــســتــه لــيــأكــلــهــا ســواه

هذا يصدق عليه اسم طالب العلم:

هذه العبارة قالها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إمام أهل السُّنّة في حق المحدث الأندلسي الإمام بقي بن مخلد الذي رحل من الأندلس إلى المشرق لملاقاة الإمام أحمد وكانت رحلته مشياً على الأقدام، ولما وصل إلى بغداد وجد الإمام أحمد محبوساً في بيته وقد مُنع من أن يحدث الناس ولما قابله بقي بن مخلد ألحّ على الإمام أحمد أن يأخذ عنه وتزيّا بزيّ المتسوّل وكأنه فقير وقد جعل ورقه تحت كمه، وفي كل يوم يأتي ويأخذ عن الإمام أحمد مجموعة من الأحاديث حتى فرَّج الله عن الإمام أحمد وأصبح بقيّ بن مخلد من تلاميذه المقربين فكان إذا أقبل قال الإمام أحمد: هذا يصدق عليه اسم طالب العلم.

ورحم الله ابن الجوزي فقد أبدع حين قال:

من أنفق عصر الشباب في العلم فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جني ما غرس ويلتذ بتصنيف ما جمع ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئاً بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم. قال الشاعر:

أهتز عند تمني وصلها طربا ... ورب أُمنية أحلى من الظفر

ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلّا ما لو حصل لي ندمت عليه ثم تأملت حالي، فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم وجاهي بين الناس أعلى من جاههم وما نلته من معرفة العلم لا يقوَّم... إلخ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا تلميذ ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ العالم الفذّ أحمد بن عبد الدائم المقدسي يقول بعد أن كبر سنّه وطال عمره وعجز عن العلم:

عجزت عن حمل قرطاس وعن قَلَم ... من بعد إلفيَ بالقرطاس والقلم

كتبت ألفاً وألفاً من مجلدة ... فيها علوم الورى من غير ما ألم
ما العلم فخرُ امرئ إلا لعامله ... إن لم يكن عملٌ فالعلم كالعدم
العلم زينٌ وتشريف لصاحبه ... فاعمل به فهو للطلاب كالعلم
ما زلت أطلبه دهري وأكتبه ... حتى ابتليت بضعف الجسم والهرم

وفي مثل هذا وغيره يصدق قول القائل:

نفسي فداؤك من ميت ومن بدن ... ما أطيب الذكر والأخلاق والجسدا

وها هو أبو عبد الله الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب «المستدرك» يذكر أوصاف العلماء العاملين المتتبعين لحديث رسول الله ﷺ وسير أصحابه يقول عنهم في كتابه «معرفة علوم الحديث»: «هم قوم سلكوا محجة الصالحين واتبعوا آثار السلف من الماضين ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله ﷺ وآله أجمعين. آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدِّمَن والأوطار وتنعَّموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة أهل العلم والأخبار... إلخ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

ورحم الله أبا الحسن القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث يقول في قصيدته العصماء:

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذُّل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزةُ النفس أُكرما

إلى أن يقول:

وكم نعمةٍ كانت على الحر نقمةً ... وكم مغنم يعتدُّه الحر مغرما
فإن قلتَ زند العلم كاب فإنما ... كباحين لم تخرس حماه وأظلما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظَّموه في النفوس لعُظِّما

نيل المقامات العليَّة:

نيل المقامات العليّة لا يقتصر على جنس دون جنس ولا بلد دون بلد ولا لون دون لون ولا عرق دون عرق ولا قوم دون قوم، بل كل من جدّ واجتهد ودأب وثابر وتفرغ وأقبل نال وارتفع بقدر جدّه ومواهبه وفضل الله

عليه، فالمقامات العالية لا تنال إلا بالاجتهاد والدأب وكثرة الطلب ومتابعة التحصيل كما قيل:

فقل لمرجيّ معالي الأمور بغير اجتهاد رجوتَ المحالا

وكما قيل:

يا ب سارٍ بات ما توسَّدا إلا ذراعَ العَنْس أو كفَّ اليدا

أو كما قال بديع الزمان الهمذاني:

كنفي بعير إن ظعنت ومفرَشي كُمِّي وجُنح الليل مطرحُ هودجي

هكذا تُقضى الأوقات:

طالب العلم إذا بذل جهده في الطلب والتحصيل وتحمَّل المشاق والمتاعب وغالب الصعاب والعقبات، لا يخيِّب الله مسعاه ولا يهضم الناس حقه وإن حسده من حسده وظلمه من ظلمه من الأقران والخلّان والأصحاب، والنبوغ صبر طويل وجهاد عسير كما قيل:

وإنَّ سيادَة الأقوام فأعْلم لها صَعْداء مطلعها طويل

أما التواني والتكاسل وتتبع متاع الدنيا فذلك بعيد كل البعد عن العلم وتحصيله وصدق من قال:

إذا كان يؤذيك حر المصيف ويُبس الخريف وبَرْد الشتاء

ويُلهيك حسن زمان الربيع فأخْذك للعلم قل لي متى

قال شيخ الأسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكم ممن لم يرد خيراً ولا شراً حتى رأى غيره لا سيما إن كان نظيره يفعله ففعله، فإن الناس كأسراب القطا مجبولون على تشبُّه بعضهم ببعض.

ورحم الله الوزير الصالح والعلّامة الفقيه يحيى بن هبيرة إذ يقول:

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

لما أدركت الشيخوخةُ أبا عثمان الجاحظ الأديب كان ينشد هذين البيتين متحسراً متألماً من تقاعد الضعف والكِبَر:

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كَذَبَتْك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

الاعتماد على التفرغ من الشواغل في المستقبل:

كثير من العاجزين يعللون أنفسهم بالعمل مستقبلاً ويعدونها الأماني الكاذبات وهذا هو الحلم الخادع إن الأماني والأحلام لا تُصنع حاضراً ولا تبني مستقبلاً.

وصدق الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ حيث يقول: «كثرة الأماني من غرور الشيطان». ويقول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصيته لابنه الحسن: «إياك والاتكال على المنى فإنها بضائع النَّوكى» أي: الحمقى.

قال الشاعر:

إذا تمنيتُ بتُّ الليل مغتبطاً إن المنى رأس أموال المفاليس

إن هؤلاء الذين يتعللون بالتفرغ غداً أو بعد غد والخلو من المشاغل والاطلاع والقراءة وطلب العلم بعد نهاية الدراسة أو بعد شهر أو بعد التخرُّج أو بعد القدوم من السفر. وهكذا هؤلاء كالرجل الذي قال لابن سيرين: إني رأيت في منامي أني أسبح في غير ماء وأطير بغير جناح، فما تفسير هذه الرؤيا؟ فقال له: أنت رجل كثير الأماني والأحلام.

آفات تضيع الوقت:

هناك آفات تقضي على الوقت وتذبحه بغير سكين فليحذر المسلم منها، ومن أكثرها شيوعاً بين الناس:

١ ـ الغفلة:

وهي مرض يصيب عقل الإنسان وقلبه، بحيث يفقده الإحساس الواعي بمرور الزمان واختلاف الليل ولانهار فتجده لا يكترث بحقائق الأمور بل يعتني بالصور والمظاهر فقط ومن البلية إن تمر بأمة الإسلام الأحداث التي تزلزل الجبال فلا تعتبر ولا تتعظ ولا تتحرك وكأن الأمر مجرد تمثيل فقط، وقد جاء

من دعاء أبي بكر الصديق ﷺ: «اللهم لا تدعنا في غمره ولا تأخذنا على غره ولا تجعلنا من الغافلين».

٢ ـ التسويف:

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إياك والتسويف فإنك بيومك ولست بغدك فإن يكن غدك فكن في غد كما كنت في اليوم وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم.

وصدق من قال:

فما لك يوم الحشر شيء سوى الذي ... تزودته قبل الممات إلى الحشر
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ... ندمت على التفريط في زمن البذر

وأحسن من قال:

ولا أو أخر شغل اليوم عن كسل ... إلى غدٍ إنَّ يوم العاجزين غدُ

وقال آخر:

عليك بأمر اليوم لا تنتظر غداً ... فمن لغدٍ من حادثٍ بكفيل

وأجاد من قال:

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

إخوتي في الله: تعالوا معي لنكن صادقين مع أنفسنا مع إطلالة هذا العام من هو الذي حاسب نفسه، من هو الذي العبرة والعظة من العام المنصرم، أليس التاجر يجعل له حسابات يومية وشهرية وسنوية.

لقد ودعنا قبل أيام عاماً كاملاً وكأننا عبرنا من قنطرة إلى أخرى، خلفنا ما في العام الماضي والكل مسجل ومكتوب ومقيد ومحسوب، وسنحاسب عن النقير والقطمير بل عن مثاقيل الذر. وليس الحال كما قال الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

بل الماضي هو الذي يتحسر عليه الإنسان ويندم ولات ساعة مندم، فالجد الجد والحزم والحزم ما دام في العمر إمكان..

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التحام

فكّر معي أخي المسلم في دقائق تقضيها لحفظ كتاب الله ومراجعته، الحسنة بعشر أمثالها الألف حرف والميم حرف واللام حرف، كم في الفاتحة من حسنة.

إن بعض القادرين يقصّرون في حفظ كتاب الله، ولو حسبت الساعات التي يقضونها لقراءة الجرائد والمجلات لهالك الأمر، ولو قضى جزءاً من هذا الوقت يومياً للقرآن لكان في ذلك خير عظيم وأجر كبير ونفع في الدنيا والآخرة.

تذكر أخي أحبة لك في سنك وطموحك وقدراتك ونظرتك للمستقبل، إلا أن الموت عاجلهم فلم يستكملوا ما بنوا أو خططوا ولم يذهبوا إلا بعملهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وتذكر أن الأجل محدود والرزق مضمون وأن الكون كلَّه أنسَه وجنَّه أفلاكَه وعوالَمه، كلُّ ذلك يسير حسب تقدير العطاء، فاحرص على أن تبني لك داراً في الآخرة وليكن ذلك بعشر معشار حرصك على بناء دار لك في الدنيا.

والخلاصة:

١ ـ همة في الطلب تسهل الصعاب.

٢ ـ الاشتغال بالعلم ليلاً ونهاراً.

٣ ـ الإعادة والتكرار ومباحثة أهل العلم من الصغار والكبار.

٤ ـ اعتبار الكيف لا الكم، والبداءة بالأهم فالمهم.

٥ ـ جرّد المطولات لاستنباط الفوائد وترسيخ المعلومات بكثرة التكرار والإيرادات.

٦ ـ اختيار الفن الذي تميل له النفس وتقديمه على غيره.

٧ ـ عدم الإفراط في الوسائل على حساب المقاصد وتذكر فضل العالِم على العابد.

٨ ـ كثرة الاستغفار ليمحو كل ذنب يعوق العلم والتحصيل.

٩ ـ جمال العلم صيانته وثمرته التديُّن وتاجه الأمانة، والعمل به أعظم معين على ثباته وبقائه.

١٠ ـ لا يثبت العلم إلا بالتعليم ولا يرسخ إلا بالتفهيم.

١١ ـ المقصود من العلم طاعة الرحمٰن وآفته النسيان ومرارته حسد الأقران.

١٢ ـ وكتب المتقدمين أنفع وأكثر فائدة لا سيما ما جمعت سهولة العبارة ودقة المعلومات، ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

١٣ ـ الإكثار من مصاحبة الكتاب، لا يشغله عنه طعام ولا شراب، يقطف منه ما لذّ وطاب.



المنهجية في طلب العلم(١)

أمور مهمة في طلب العلم:

١ ـ الإخلاص.

٢ ـ الصبر والمتابعة.

٣ ـ البدء بالأهم ثم المهم.

٤ ـ العمل بالعلم.

٥ ـ بذل العلم.

٦ ـ محبة أهل العلم واحترامهم.

٧ ـ التواضع.

٨ ـ الإكثار من الذكر والاستغفار.

٩ ـ الحرص على الدعوة إلى الله بما أعطاه الله من العلم.

١٠ ـ الدفاع عن هذا الدين ومعرفة مخططات الأعداء.

١١ ـ العلم بالواقع ومعرفة مستجداته.

عوائق الطلب ومعوقاته:

١ ـ طلب العلم لغير الله.

٢ ـ ترك العمل بالعلم.

٣ ـ الاعتماد على الكتب.

---

(١) من أجمل ما قرأت في هذا الباب رسالة لطيفة للشيخ ابن سعدي ضمن الفتاوى حول طلب العلم.

٤ ـ أخذ العلم عن الأصاغر.

٥ ـ عدم التدرج في العلم.

٦ ـ الغرور والعجب والكِبْر.

٧ ـ استعجال الثمرة.

٨ ـ دنو الهمة.

٩ ـ التسويف والتمني.

١٠ ـ حسد الأقران.

التأصيل والتأسيس:

لا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه بضبط أصله ومختصره على شيخ ولا تعتمد على التحصيل الذاتي، ولا بد من أخذ العلم بالتدرج. ففي كل فن يلزمك:

١ ـ حفظ مختصر فيه فإن لم تستطع فعليك أن تستظهر هذا المختصر وتكرره كثيراً.

٢ ـ ضبطه على شيخ وسماع تحليل ألفاظه وحل غامضه.

٣ ـ عدم الاشتغال بالمطولات والشروح قبل الضبط والإتقان للأصل.

٤ ـ عدم الانتقال من مختصر لآخر بلا موجب أو مبرر قوي.

٥ ـ الحرص على تقييد الفوائد وحفظها.

٦ ـ الهمة العالية والحرص الدؤوب والترقي وطول الملازمة للشيخ ففي ذلك الخير الكثير.

ومما يعين على التحصيل واستظهار الدروس:

١ ـ الانتباه للقراءة والمتابعة والحرص على فهم شرح الشيخ للمقروء.

٢ ـ عدم الحرص على السؤال أثناء القراءة وتكون الأسئلة بعد ذلك.

٣ ـ مراجعة الدرس بعد انتهائه.

٤ ـ استحضار الدروس بين وقت وآخر.

٥ ـ الحرص على تطبيق الدروس عملياً لتثبت في الذهن.

حفظ أو دراسة المتون:

يُحسن بالطالب حفظ المتون فإن لم يتيسر فعليه دراستها واستظهارها بالتكرار والمتون فمرتبة، فهناك للمبتدئين متون وللمتوسطين متون وللمتقدمين متون.

فالمبتدئ بالعلم: «الأصول الثلاثة» في العقيدة، و«آداب المشي إلى الصلاة» في الفقه، و«الأربعين النووية» في الحديث.

وللمتوسطين: «التوحيد» في العقيدة، و«عمدة الأحكام» في الحديث، و«أخصر المختصرات» في الفقه.

وللمتقدمين: «الطحاوية» في العقيدة، و«زاد المستقنع» في الفقه، و«بلوغ المرام» أو «مختصر البخاري ومسلم» في الحديث.

الموضوع الصفحة